مكتبات دمشق في عصر المماليك
٦٥٨ – ٩٢٣هـ - ١٢٥٩ – ١٥١٦م

منذر الحسين(١)

(1) ماجستير في التاريخ العربي الإسلامي ومتخصِّص في الدِّراسات المملوكيَّة.

ملخَّص البحث

يتحدث هذا البحث عن انتشار المكتبات في مدينة دمشق في عصر المماليك بشكل لافت: في المدارس والمساجد والبيمارستانات والخوانق والترب والرُّبُط، وكذلك في أسواق الكتب الموزّعة في أنحاء المدينة. وقد خضع كل ذلك لنظام عام دقيق بدءًا من التزويد وسياسته ومصادره، والإجراءات الفنية (التسجيل، السجلات، الجرد، الفهرسة، الفهارس، التنضيد، التصنيف)، والتجليد والترميم، وانتهاء بمواعيد فتح المكتبات وخدماتها وأثاثها، والأدوات الخاصّة بحفظ الكتب. وأظهر هذا كله حالة صحية علمية راقية عاشتها دمشق في ذلك العصر.

_ مقدمة:

يُعَدُّ عصر المماليك من أهم العصور العربية الإسلامية، ومن أكثرها نشاطًا على كافة الصُّعُد: الإدارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

فالمماليك دافعوا عن الأرض العربية الإسلامية، وحقَّقوا أعظم الانتصارات، وهزموا الجيوش المغولية والجيوش الفرنجية، فثبَّتوا أقدامهم في المشرق العربي، حتّى إنّ بعض الممالك والدويلات الأوربية بادرت إلى كسب ودّ سلاطينهم.

ولم يقتصر دور المماليك على الأمور السياسية والعسكرية والدفاع عن الأرض، بل شهدت مدة حكمهم، وخاصةً في مصر وبلاد الشام، نشاطًا علميًّا وثقافيًّا مُتعدِّدَ الآفاق، ساعدت عليه عدة عوامل؛ منها الازدهار الاقتصادي الذي عاشته البلاد في ذلك العصر، وحقَّق لها الأمن والأمان، ومنها أيضًا إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد سقوطها في بغداد على يد هولاكو عام (٦٥٦هـ= ١٢٥٨م)، وقد تمثل هذا النشاط فيما شُيِّد من مؤسسات تعليمية وتربوية.

ولأن الكتاب يعد جزءًا مهمًّا من العملية التعليمية، فقد حرص المماليك على توفير المكتبات داخل كل مؤسسة، فكانت هناك مكتبات المساجد والمدارس والبيمارستانات ومؤسسات الصوفية، مرورًا بالمكتبات الخاصة، حتى وصل الأمر إلى إقامة مكتبات في التُّرَب والمقابر، وقد وفر لها أولو الأمر من السلاطين والأمراء والعلماء جميع مقومات الخدمات والأنشطة، من موارد مادية وبشرية، ومن نظم وإجراءات فنية وإدارية.

وهذا كله يُظهر أهمية دور المكتبات في الحياة العلمية في عصر المماليك، فمن خلال عمل المؤسسات العلمية في نشر العلم، قامت المكتبات على تنشيط عملها العلمي بشكل كبير.

وانطلاقًا من هذه الأهمية، عملتُ على إعداد هذا البحث لتبيين ظاهرة علمية مشرقة، برزت في عصر استمرَّ قرابة ثلاثة قرون، فلا شك أن المكتبات وانتشارها في أي بلد يعد معيارًا ومؤشِّرًا على النهضة العلمية، والحالة الصحية، التي عاشها أهل تلك البلاد.

وقمت بالتركيز في هذا البحث على مكتبات دمشق، في ذلك العصر، التي انتشرت في كل مكان، وخضعت لأنظمة دقيقة، والتفاصيل القادمة تبيّن ذلك.

أولًا _ انتشار المكتبات في كل أنحاء دمشق:

سيظهر في الأسطر القادمة ظاهرة صحية، تميّزت بها مدينة دمشق في عصر المماليك، وهي انتشار المكتبات في كل مؤسساتها الدينية والعلمية والصحية.

١_ مكتبات المدارس:

كان في مكتبات المدارس، في مدينة دمشق، من نفائس المؤلفات، ونوادر الذخائر العلمية، ما لم يجتمع مثلُه في مدينة أخرى من الديار الشامية والمصرية، إذ يقول جمال الدين بن نباتة المصري في مقدمة كتابه «سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون»: «كنتُ أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفارًا فيها للمُطالع منجعٌ، وللأفهام الناسية ذكرى تنفع، فلم يتهيّأ أن أعار منها كتابًا، ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابًا»[٢].

ومن هذه المدارس دار الحديث النورية: كان السلطان نور الدين محمود بن زنكي قد بناها (٥١١- ٥٦٩هـ)= (١١١٨- ١١٧٤م)[٣]، وكان قد جعل بها خزانةً للكتب، حيث عُثر على جزءٍ من القرآن الكريم في متحف دمشق، كُتب عليه «أوقفه وحبسه الملك العادل نور الدين ... على المدرسة التي أنشأها بمدينة دمشق حرسها الله، وشرط أن يُقرأ فيها ولا يخرج منها طلبًا لمرضاة الله وثوابه في ذي الحجة (٥٦٢ هـ= ١١٦٣م)»[٤]، وممّن أوقف كُتبَه عليها أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان المعروف بابن الجواهري (ت ٦٤٣ هـ= ١٢٤٥ م)[٥]، وفي الظاهرية جزء موقوف بدار الحديث لعلي بن عبد الكافي الشافعي، ومن المحتمل أنّه تقي الدين السبكي (٧٥٦ هـ= ١٣٥٥ م)، وقال: «ونظره لشيخها من كان»[٦]، وكذلك عُثر على جزء وقفه الحوبي (؟)، وقد كتب عليها «لا يُباع»[٧]، ويوجد جزء ثالث لعلم الدين القاسم بن محمد (٧٥٦هـ= ١٣٥٥م) في دار الحديث النورية[٨].

المكتبة الظاهرية في دمشق

(2) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها: حبيب الزيات، ص2.
(3) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص74.
(4) رقم ع/343، انظر دور الكتب العربية: العش، ص238.
(5) الوافي بالوفيات: الصفدي، ج8، ص109.
(6) مجموع 71 (27)، انظر دور الكتب العربية: العش، ص239.
(7) مجموع 37 (4)، انظر دور الكتب العربية: العش، ص239.
(8) الظاهرية: مجموع 37 (10)، انظر دور الكتب العربية: العش، ص239.

ومنها المدرسة العادلية الكبرى: وهي داخل دمشق، شمالي الجامع الأمويّ، بغرب وشرقي الخانقاه الشهابية، وقبلي الجاروخية بغرب وتجاه باب الظاهرية، يفصل بينهما الطريق، شرع في بنائها نور الدين الزنكي في سنة (٥٦٨هـ= ١١٧٢م) ولم يتمها، وقد توفي الملك العادل أبو بكر بن أيّوب في سنة (٦١٥هـ= ١٢١٨م)، ودُفن في القلعة، ثمّ نُقل إلى العادلية في سنة (٦١٩هـ= ١٢٢٢م)، وذلك بعد أن أكمل بناءها ابنُه الملك المعظَّم[٩]، وقد جعل بها خزانة للكتب.

وممن أوقف كتبه عليها قطب الدين النيسابوري (ت٥٧٨هـ= ١١٨٢م)، حيث أوقف كتبه على طلبة العلم ثمّ بعد بنائها نُقلت إليها[١٠]، وقد كانت تحتوي على كتاب «التقريب»، وكُتب عليه أنّه لأبي الحسن القاسم بن أبي بكر القفال الشاشي[١١]، وقد قال ابن كثير في سنة (٧٢٨هـ= ١٣٢٨): «وتوفِّي شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية، وأُخرجت الكتب والأوراق والدواة والقلم الّتي كانت عنده، ونُقلت كتبه إلى خزانة الكتب في العادلية الكبيرة، وكانت نحو ستين مجلّداً وأربع عشرة ربطة كراريس»[١٢]، وقد كان موقع المكتبة، بالمجلس الكبير في صدر الإيوان، وهو الموضع الّذي يجلس فيه غالبًا للفتوى وغيرها، ومنه يخرج للصلاة في المدرسة[١٣].

ودار الحديث الأشرفية: غربي العصرونية، وشمالي القيمازية الحنفية، وكانت دارًا للأمير قايماز، اشتراها الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيّوب (ت٦٣٥هـ= ١٢٣٧م)، وبناها دارًا للحديث[١٤]، وقد نقل إليها كتبًا كثيرة وهي كتب نفيسة[١٥]، ومن ضمن موجوداتها كتاب «سلوة العارفين وأنس المشتاقين» لمحمد بن عبد الملك بن خلف الطبري السلمي (ت٤٧٠هـ= ١٠٧٧م)، يقول عنه السبكي: «وهو كتاب جليل في بابه أُعجبتُ به جداً، صنّفه للرئيس أبي علي حسان ابنُ سعيد المنيعي، ورتّبه على اثنين وسبعين بابًا، أوّلها في معنى التصوّف، وآخرها على بيان طبقات الصوفية وتراجمهم، وما أراه إلّا حاكى رسالة أبي القاسم القشيري، ولعلّ خمول هذا الكتاب بهذا السبب، وإلّا فهو حسنٌ جداً»[١٦].

وكذلك من محتوياتها كتاب «جمل الأصول الدالّة على الفروع»، وهو كتاب في الفقه في مجلّدين، لمحمد بن أحمد الأسواني (ت٣٣٥هـ= ٩٤٦م)[١٧]، وكتاب «ذيل بغداد» للدبيثي[١٨]، وأوقف القاضي أمين الدين الأشتري أبو العباس أحمد بن شمس الدين الحلبي، المعروف بالأشتري الشافعي (ت٦٨١هـ= ١٢٨٢م)، أجزاء بدار الحديث الأشرفية[١٩]، وكذلك الشهاب بن مزهر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الأنصاري الدمشقي (ت٦٩٠هـ= ١٢٩١م)، فقد أوقف كتبه بالأشرفية كما ذكر الذهبي[٢٠]،

(9) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: أبو شامة، ج2، ص264. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص271. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص123.
(10) الروضتين في أخبار الدولتين: أبو شامة، ج2، ص264. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص-273 293.
(11) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج4، ص85.
(12) البداية والنهاية: ابن كثير، ج18، ص289.
(13) دور الكتب العربية، العش، ص235.
(14) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص202. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: أحمد بن عثمان الذهبي، الطبقة الثالثة والستون، ص41. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص15.
(15) طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، ج4، ص-179 180.
(16) طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، ج4، ص179.
(17) طبقات الشافعية: السبكي، ج3، ص70.
(18) المكتبة الوطنية، عربي، 5921، 5922، انظر دور الكتب العربية: العش، ص240.
(19) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص587.
(20) العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص370. الدارس في تاريخ الدارس: النعيمي، ج2 ص1.

المكتبة الظاهرية في دمشق

ومحمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الشافعي (ت٧١٥هـ= ١٣١٥م) أوقف كتبه فيها[٢١]، ومن الكتب التي كانت موجودة فيها أيضًا كتاب «مناقب الإمام الشافعي» لإسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن القراب (ت٤١٤هـ= ١٠٢٣م)، وقد رُتّب على مئة وستة عشر بابًا، أوّلها كان في نسب النبي ﷺ الذي يرجع إليه نسب الإمام الشافعي، وآخرها أربعون بابًا، جمع فيها أربعين حديثًا في الأحكام من رواية الشافعي بسنده إليه إلى النبي ﷺ، وقد رأى السبكي نسخة من مجلدين في دار الحديث الأشرفية[٢٢]، وكانت هذه المدرسة قد نُهبت سنة (٦٩٩هـ= ١٣٠٠م) على يد التتار[٢٣].

والمدرسة الضيائية المحمدية: وهي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري، قد أنشأها الحافظ ضياء الدين المقدسي، ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد (ت٦٤٣هـ= ١٢٤٥م)، وقد أوقف كتبًا كثيرة عظيمة على خزانتها[٢٤]، ومن الكتب الموقوفة فيها الجزء السادس من «فضائل الصديق» لأبي الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي (ت٣٤٣هـ= ٩٥٤م)، وهو عن فضائل أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ[٢٥]، والجزء الثاني من «فضائل الخلفاء الأربعة» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الحافظ (ت٤٣٠هـ= ١٠٣٩م)، وهو يتحدث في فضائل الخلفاء الأربعة، مع ذكر ما اختصّ به كلّ واحدٍ منهم من المناقب[٢٦]، وكتاب «تحفة الصديق» لعلي بن بلبان،

(21) البداية والنهاية: ابن كثير، ج18، ص147.
(22) طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، ج4، ص266.
(23) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص722.
(24) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص284 ، 485. العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص-179 180. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص71.
(25) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص83.
(26) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص-86 87.

ويتحدّث في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٢٧]، وكتاب «أخبار عمر بن عبد العزيز»[٢٨]، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجري (ت٣٦٠هـ= ٩٧١م)، يتحدّث فيه عن أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، حيث يمتدح فيه عمر بن عبد العزيز مُعظِّمًا سيرتَه[٢٩]، وفيها كتاب «رجال عروة» للإمام مسلم بن الحجّاج بن مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ= ٨٧٥م)، الذي عدَّد فيه أسماء رجال عروة بن الزبير[٣٠]، وقد نُهبت مكتبة هذه المدرسة في سنة (٦٩٩هـ= ١٣٠٠م) على يد التتار كما ذكر ابن كثير[٣١].

ودار الحديث الفاضلية: وهي بالكلاّسة، بناها عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي، المعروف بالقاضي الفاضل[٣٢]، وقد جعل بها خزانة كتب، يقول ابن كثير فيمن توفي في سنة (٦٥٥هـ= ١٢٥٧م): «واقف البادرائية الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني، وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من الكلاّسة»[٣٣].

والمدرسة الظاهرية الجوانية: وهي داخل بابي الفرج والفراديس بينهما، جوار الجامع الأمويّ، شمالي باب البريد، وقبلي الإقباليتين والجاروخية، وشرقي العادلية الكبرى، باباهما متواجهان، بينهما الطريق، بُنيت في مكان دار العقيق[٣٤]، وقد بناها الملك الظاهر بيبرس ركن الدين أبو الفتح بيبرس التركي البندقدار الصالحي (ت٦٧٦هـ= ١٢٧٧م)[٣٥]، ومن الذين درّسوا فيها الواعظ المفسر الخطيب الصوفي شيخ العراق عزُّ الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الفاروثي الواسطي (ت٦٩٤هـ= ١٢٩٥م)، حيث أودع فيها كتبَه وهي كثيرةٌ جدًّا[٣٦].

وقد كان المرحوم مدحت باشا واليًا على سورية، فاهتمّ بإنشاء المكتبات، ثمّ عَلم أنّ دمشق كان بها ما لا يُعدّ من خزائن الكتب الموقوفة على المشتغلين بالعلم، فمُدّت إليها أيدي المختلَسين بالنهب والبيع، حتّى لم يبق إلّا القليل، فخاف على الباقي من الضياع، فكتب إلى مقر السلطة بذلك، وجاءته الموافقة، وجُمعت الكتب الموجودة من عشرة خزائن، ووضعت بالمدرسة الظاهرية، وهذه الخزائن هي: المدرسة العمرية بالصالحية، وخزانة مدرسة عبد الله باشا العظم التي أوقفها سنة (١٢١١هـ= ١٧٩٦م)، ومكتبة سليمان باشا العظم في باب البريد أوقفها سنة (١١٩٠هـ= ١٧٧٦م)، ومكتبة الخياطين، وهي مكتبة أوقفها أسعد باشا العظم في محلّة الخيّاطين قرب مدرسة النورية، أوقفها بعد سنة (١١٦٥هـ= ١٧٥٢م)، ومكتبة المدرسة المرادية في باب البريد، أوقفها مراد بن علي بن داود النقشبندي، أُنشئت في سنة (١١٠٨هـ= ١٦٩٦م)، ومكتبة الأوقاف: وهي مجموعة من مكتبات متفرقة، ومكتبة بيت الخطابة: وكانت في حجرة الخطابة في جامع بني أميّة، ومكتبة المنلا عثمان، ومكتبة السميساطية، ومكتبة

(27) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص89.
(28) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص-95 96.
(29) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص190.
(30) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص225.
(31) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص722.
(32) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص67.
(33) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص350. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص70.
(34) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص531. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص263.
(35) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص-530 535. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص264.
(36) ولعله أودعها بهذه المدرسة، البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص-680 681. العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص381، 382. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص269.

المدرسة الياغوشية، حيث جُمعت الكتب الموجودة بهذه الخزائن، ووُضعت في المدرسة الظاهرية[٣٧].

ومنها المدرسة التاجية: بزاوية الجامع الأمويّ الشرقية، غربيَّ دار الحديث العروية[٣٨]، قام قاضي القضاة عمر بن علي النهرقلي بإعادة تأهيل هذه المدرسة، وقد بناها تاج الملك، وزير ملك شاه السلجوقي[٣٩]، ولعلّها تُنسب إلى تاج الدين الكندي زيد بن الحسن البغدادي (ت٦١٣هـ= ١٢١٦م)، حيث تمّ في أيّامه تجديدها[٤٠]، وتُعرف أيضًا بمقصورة ابن سنان والحلبية[٤١]، وقد قام تاج الدين الكندي بوقف كتبه، وهي سبعمئة وواحد وستون مجلّدًا، وكانت كتبًا نفيسة على مُعتَقه نجيب الدين ياقوت، ثمّ على العلماء في الحديث والفقه وغير ذلك، وجُعلت في خزانة كبيرة في مقصَورة ابن سنان الحلبية، ثمّ إنّ هذه الكتب تفرّقت، وبيع كثيرًا منها، ولم يبق بالخزانة إلّا القليل الرثّ[٤٢]، وقد وُجد فيها عدّة خزائن للكتب الموقوفة في زمن ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ= ١٣٤٨م)[٤٣].

والمدرسة العمرية الشيخية: بالصالحية يمرّ بها نهر يزيد، وقد بناها أبو عمر المقدسي محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقداد الحنبلي القدوة الزاهد (ت٦٠٧هـ= ١٢٠٤م)[٤٤]، وقد كانت بها خزانة كتب لا نظير لها، فلعبت بها أيدي المختلسين، إلى أن أتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جمل من الكتب وفرّ بها، ثمّ نُقل ما بقي - وهو شيء لا يُذكر بالنسبة لما كان بها - إلى خزانة الكتب بالمدرسة الظاهرية، على يد مدحت باشا والي سورية[٤٥].

ومن الكتب التي كانت موقوفة بهذه المدرسة، كتاب «الشفا في حقوق المصطفى» للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليخصبي السبتي (ت٥٤٤هـ= ١١٤٩م)[٤٦]، وكتاب «الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين» لأبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر الشافعي (ت٦٢٠هـ= ١٢٢٣م)، وكان هذا الكتاب هديّة لصلاح الدين، وهو في ذكر مناقب أمّهات المؤمنين[٤٧]، وكتاب «محض الشيد في مناقب سعيد بن زيد» ليوسف بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي (ت٩٠٩هـ= ١٥٠٣م)، تحدَّث فيه عن حياته، وأخلاقه، وصحبته، وكلام الناس فيه ووفاته، وكذلك له كتاب آخر موقوف بالعمرية وهو «محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص»[٤٨]، وكتاب «صفوة الصفوة» لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ= ١٢٠١م)[٤٩]، وفي الحقيقة أنّ الكتب التي وصلت إلينا وعليها وقف العمرية كثيرة[٥٠].

(37) منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص-119 -120 121.
(38) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص370. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص156.
(39) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص-316 317.
(40) العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص-44 45. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص157.
(41) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص54. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص-156 157.
(42) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص54. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص371.
(43) دور الكتب العربية، العش: ص234.
(44) العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص25. البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص20. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص77. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص244.
(45) منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص-120 244.
(46) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص-53 54.
(47) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص-72 73.
(48) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص-178 179.
(49) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص-281 284.
(50) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص435.

والمدرسة الشبلية: بناها كافور بن عبد الله الحسامي (ت٦٢٣هـ= ١٢٢٦م)، وهي بسفح قاسيون، بالقرب من جسر ثورا، وقد بنى تربة وخانقاه أيضًا[٥١]، وجعل بها خزانة كتب، ومن الكتب التي أُوقفت عليها كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصفهاني (ت٤٣٠هـ= ١٠٣٩م)، حيث قام كافور بن عبد الله الحسامي بوقفه في مدرسته سنة (٦٢١هـ= ١٢٢٤م)[٥٢].

والمدرسة الرواحية: وهي شرقيَّ مسجد ابن عروة بالجامع الأمويّ، شماليَّ جيرون، وغربيَّ الدولعية، وقبليَّ الشريفية الحنبلية، بناها الزكي بن رواحة هبة الله بن محمد الأنصاري التاجر (ت٦٢٣= ١٢٢٦م)، وكان قد بنى مدرسة أخرى في حلب[٥٣]، وجعل بها خزانة كتب جليلة[٥٤]، وقد أوقف البرهان السويدي (ت٦٥٦هـ= ١٢٥٨م) كتبه بهذه المدرسة[٥٥].

والمدرسة الناصرية الجوانية: داخل باب الفراديس، شماليَّ الجامع الأمويّ والرواحية، أنشأها الملك يوسف بن صلاح الدين وقد فرغ من بنائها سنة (٦٥٣هـ= ١٢٥٥م)[٥٦]، وقد كانت بها خزانة كتب، ومن بين هذه الكتب مصنّف لفتح الدين أبي محمد عبد الله بن محمد القيسراني (ت٧٠١هـ= ١٣٠١م) في أسماء أصحاب النبي ﷺ الذين خُرّج لهم في الصحيحين، وشيء من أحاديثهم في مجلّدين كبيرين[٥٧].

٢_ مكتبات المساجد والجوامع (مكتبات الجامع الأموي):

لقد أُلحقت المكتبات بالجوامع في بلاد الشام، ولكن أغلب الجوامع في دمشق قد غلب عليها طابع المدارس، فكانت دارًا للحديث أو دارًا للقرآن، ولضيق مساحة البحث سنكتفي بالحديث عن الجامع الأموي فقط من جوامع دمشق.

ويقال له جامع دمشق وجامع بني أميّة والجامع الأمويّ والجامع المعمور، بناه الوليد بن عبد الملك سنة (٨٦هـ=٧٠٥م)[٥٨]، وكان قد أصابه حريق سنة (٤٦١هـ= ١٠٦٩م) ودُثرت محاسنه[٥٩]، وتمّ إصلاحه، وكان أحمد بن علي بن الفضل بن الفرات (ت٤٩٤هـ= ١١٠٠م) أوّل من أوقف عليه الكتب بعد الحريق[٦٠]، وكذلك عُثر على جزء أُوقف على خزانة الكتب في مشهد زين العابدين سنة نيف وسبعين وأربعمئة هجرية في الجامع[٦١]، وقد كانت فيه الخزانة الفاضلية وخزانة التربة الأشرفية وخزانة مشهد ابن عروة وخزانة مقصورة ابن سنان، وكذلك كانت فيه خزانة بيت الخطابة، التي كانت بحجرة الخطابة[٦٢]، وكذلك خزانة حلقة الحنابلة، حيث أنّ العماد الحنبلي إبراهيم بن عبد

(51) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص407. العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص95.
(52) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العش، ص278- 280.
(53) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص199. العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص92. البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص149.
(54) الذيل على الروضتين: أبو شامة ص149.
(55) الذيل على الروضتين: أبو شامة، ص199.
(56) منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص149. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج1، ص350.
(57) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة: العش، ص237. كشف الظنون: حاجي خليفة، ج2، ص1739.
(58) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص285.
(59) شذرات الذهب: ابن العماد، مج5، ص257.
(60) دور الكتب العربية: العش، ص229.
(61) خطط الشام: محمد كرد علي، ج6، ص200.
(62) خطط الشام: محمد كرد علي، ج6، ص200.

الواحد (ت٦١٤هـ= ١٢١٧م) كان يُصلّي بالحنابلة بالجامع الأمويّ، وكان يُصلّي إلى خزانتين مجتمعتين[٦٣]، وكذلك بيت الملك الحسن حيث كان للملك الحسن أحمد بن صلاح الدين بيت غرب الكلاّسة، شمالي الجامع بجانب الفاضلية، وقد كان إسماعيل بن عبد الله الأنماطي (ت٦١٨هـ= ١٢٢١م) قد أودع كتبَه فيه[٦٤].

وخزانة كتب الفخر المالكي: محمد بن عمر بن عبد الكريم الشافعي (ت٦٤٣هـ= ١٢٤٥م)، حيث كانت له خزانة كتب تجاه محراب الصحابة[٦٥]، وكان لبهاء الدين علي بن محمد (ت٦٩٩هـ= ١٢٧٠م) مصحفًا في الجامع تحت قبّة النسر للقراءة بعد صلاة الفجر[٦٦]، وكانت قد جُمعت الخزائن الموجودة بهذا الجامع من الزاوية الغربية، ومن الكلاّسة، ومن أروقة الجامع، وكان ذلك في زمن الملك المعظم عيسى بن العادل (ت٦٥٦هـ= ١٢٥٨م)، ووُضعت في مشهد عروة، ولذلك قام الملك ببناء خزائن في شرق المشهد وفي غربه، وكان ذلك بسبب نصيحة قاضي دمشق جمال الدين يونس بن بدران للملك المعظم عيسى بجمع هذه الخزائن[٦٧]، ويمكن أن نُقدِّر عدد الخزائن التي كانت موجودة بجامع بني أميّة بأكثر من عشرين خزانة، أي أكثر من خمسة آلاف مجلّد[٦٨].

٣_ مكتبات البيمارستانات:

وأنشئت المكتبات أيضًا في البيمارستانات، ومنها البيمارستان النوري: أنشأه نور الدين زنكي (ت٥٦٩هـ= ١١٧٣م)، وقد أوقف جملةً كثيرةً من الكتب على الخزانتين اللتين بصدر الإيوان، وكان جماعة من الأطبّاء والمشتغلين يأتون ويجلسون بين يدي أبي المجد الباهلي محمد بن عبيد الله (ت٥٧٠هـ= ١١٧٤م)، «ويقرئ التلاميذ، ولايزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب»[٦٩].

والمدرسة الدخوارية: وهي بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء، قبليَّ جامع بني أميّة، أنشأها مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار (ت٦٢٨هـ= ١٢٣٠م)، وقد بناها في سنة (٦٢١هـ= ١٢٢٤م)، ونسخ كتبًا كثيرةً بخطّه، بلغت أكثر من مئة مجلّد في الطبّ وغيره[٧٠]، وأوقف هذه الكتب على المدرسة للأطبّاء[٧١].

٤_ مكتبات الخوانق:

وانتشرت المكتبات في أماكن المتصوّفة، ومنها الخانقاه السميساطية: وهي عند الباب الشمالي للجامع الأمويّ ، وكان هذا الباب يُسمّى بباب الناطفانيين، وتُنسب الخانقاه السميساطية إلى أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي (ت٤٥٣هـ= ١٠٦١م)[٧٢]، وقد أوقف المسعودي شارح المقامات محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي الخراساني (ت٥٧٩هـ= ١١٨٣م) كتبًا

(63) الذيل على الروضتين: أبو شامة المقدسي، ص105.
(64) الذيل على الروضتين: أبو شامة، ص131.
(65) الوافي بالوفيات: الصفدي، ج4، ص184.
(66) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص314.
(67) الذيل على الروضتين: أبو شامة، ص-105 106.
(68) دور الكتب العربية: العش، ص235.
(69) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة، ص628. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص108.
(70) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص100. الوافي بالوفيات: الصفدي، ج18، ص233. مرآة الجنان وعبرة اليقظان: اليافعي، ج4، ص53. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة، ص728.
(71) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة: العش، ص263.
(72) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص118. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص276.

نفيسة على الخانقاه[٧٣]، وقد أوقف العلائي (ت٧٦١هـ= ١٣٦٠م) كتبه على الخانقاه السميساطية[٧٤]، ومن الكتب الموقوفة بالسميساطية كتاب «التذكرة الكندية» للشيخ علاء الدين علي بن المظفّر الكندي الإسكندراني ثمّ الدمشقي (ت٧١٦هـ= ١٣١٦م)، في خمسين مجلّداً فيه علوم جمّة أكثرها أدبيات[٧٥]، وكذلك كتاب «مختصر الشفا» للقاضي عياض[٧٦]، وقد عمَّر السلطان الناصر في سنة (٧٢٥هـ= ١٣٢٥م) على الطريق الآخذ إلى الشام في حماة بالقرب من العشّ خانقاه، وأنزل جماعة من الصوفية بها، وقام صاحب حماة بإرسال هديّة تليق بالخانقاه المذكورة مثل كتب وبسط وغير ذلك[٧٧].

٥_ مكتبات التُّرَب:

وانتشرت المكتبات أيضًا في الترب، ومنها التربة الأشرفية: في سنة (٦٣٥هـ= ١٢٣٧م)، حيث توفِّي الأشرف موسى بن العادل باني دار الحديث الأشرفية بالقلعة المنصورة ودُفن بها، ثمّ نُقل إلى تربته بعد أن أُنجزت، وهي شمالي الكلاّسة[٧٨]، وقد كان فيها خزانة كتب، ومن ضمن موجوداتها ديوان ابن أبي الصقر الواسطي (ت٤٩٦هـ= ١١٠٢م)[٧٩]، وديوان البهاء السنجاري (ت ٦٢٢هـ= ١٢٢٥م)[٨٠].

والتربة البهنسية: وهي بسفح قاسيون، بناها المجد البهنسي، وزير الملك الأشرف (ت٦٢٨هـ= ١٢٣١م)، ولما توفي دُفن بتربته التي أنشأها بسفح قاسيون، وجعل بها كتبه وقفًا عليها[٨١]، كما أنشأ الخواجا أبو بكر بن العيني تربةً له شماليَّ التربة الخاتونية، وجعل بها خزانة للكتب، وقد أوقف ولده شيخ الإسلام زين الدين عبد الرحمن ابن العيني كتبه عليها[٨٢].

كذلك بنى المؤرخ أبو بكر محفوظ بن معتوق، ابن البزوري البغدادي الأصل التاجر، تربته في سفح قاسيون، وجعل بها خزانة للكتب، وقد أوقف كتبه عليها[٨٣]، ومن محتويات هذه المكتبة كتاب «مناقب الأئمة» لأحمد بن علي الباقلاّني (ت٤٠٣هـ= ١٠١٢م)، وقد أُوقف في سنة (٦٩٤هـ= ١٢٩٥م)[٨٤]، وقال ابن كثير في حوادث سنة (٦٩٩هـ= ١٢٩٩م): إنّ التتار نهبوا خزانة ابن البزوري[٨٥].

والتربة السيفية: أوقف الجناب العالي محمد بن السيفي أرغون شاه الناصري سنة (٧٦٠هـ= ١٣٥٨م) على تربة أبيه ربعةً شريفة، وهذه الربعة تُوجد اليوم في متحف دمشق[٨٦].

والتربة العزّية البدرانية الحمزية الصالحية بدمشق: أنشأها حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران المعروف بابن شيخ السلامية (ت٧٦٩هـ= ١٣٦٧م)، وقد أوقف درسًا وكتبًا، وعَيّن لذلك

(73) الوافي بالوفيات: الصفدي، ج3، ص-192 193.
(74) البداية والنهاية: ابن كثير، ج18، ص600.
(75) البداية والنهاية: ابن كثير، ج18، ص-156 157.
(76) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: يوسف العش، ص69.
(77) تاريخ أبي الفداء: أبو الفداء، مج2، ج7، ص110.
(78) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص-224 225.
(79) وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج4، ص450.
(80) وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج1، ص214. البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص142.
(81) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص189. الدارس في تاريخ الدراس: النعيمي، ج2، ص183. منادمة الأطلال: عبد القادر بدران، ص328.
(82) الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص191.
(83) العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص-383 384. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص178.
(84) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: يوسف العش، ص-84 85.
(85) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص722.
(86) ع ع 291، انظر دور الكتب العربية: العش، ص268.

الشيخ زين الدين بن رجب[٨٧].

٦_ مكتبات الرُبط:

ذكر ابن كثير في سنة (٦٥٤هـ= ١٢٥٦م) أنّ الناصر: «أمر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون»[٨٨]، وكان قد أُسر عند هولاكو، وقال الذهبي عنه: «فلمّا بلغه كسرة بيدار على حمص استشاط هولاكو غضبًا، وأمر بقتله وقتل أخيه الظاهر»، وكان ذلك سنة (٦٥٨هـ= ١٢٠٦م)[٨٩]، وذكر ابن كثير في حوادث سنة (٦٩٩هـ= ١٢٩٩م) أنّ التتار نهبوا كتبًا كثيرةً ومنها الكتب التي في الرباط الناصري[٩٠].

ثانيًا _ أسواق الكتب في دمشق:

وبسبب الإقبال على اقتناء الكتب فمن الطبيعي أن تزدهر صنعة الورّاقين[٩١]، وتصبح سلعةً اقتصادية، فكانت لهم أسواق وحوانيت، «ولم تكن الحوانيت مجرّد دور للنّسخ، وإنّما كانت مجالس للعلماء والشعراء، وملتقيات للطبقات المثقّفة، وبعبارة أعمّ نستطيع أن نقول إنّها كانت مركزًا للنشاط العلمي، ومستودعًا لكلّ ما أنتجه العقل الإسلامي في شتّى فروع المعرفة»[٩٢].

ومن هذه الأسواق سوق الورّاقين الذي بجوار المدرسة الأشرفية[٩٣]، وهناك أيضًا سوق الكتبيِّين، وهو بين الصاغة والمدرسة الصالحية أنشئ في سنة (٧٠٠هـ= ١٣٠٠م)، وقد نُقل من موقعه إلى القيسارية فيما بين سوق الدجاجيين المجاور للجامع الأقمر وبين سوق الحصريين، وكان يعلو هذه القيسارية ربع فيه مساكن، فتضرّرت الكتب من نداوة أقبية البيوت وفسد بعضها، فعادوا إلى سوق الكتب الأوّل، وما برح هذا السوق مَجمَعًا لأهل العلم يتردّدون إليه[٩٤]، وقد كان هذا السوق موجودًا تجاه الجانب الشرقي من جامع عمر بن العاص، في أوّل زقاق القناديل، واستمرَّ حتّى سنة (٧٨٠هـ= ١٣٧٨م)[٩٥]، وتذكر وثيقة أزبك بن ططخ أنّ هناك سوقًا للكتبيين كان بخطّ خان الخليلي[٩٦]، وعن أحمد بن محمد بن معين الكتبي يقول السخاوي: «وكان يكتب القصص بالرملة ويبيع الكتب تحت الصرغتمشية فينظر شيئًا من نظمه»، وهذا يدلّ على وجود سوق تحت الصرغتمشية [٩٧].

ومنها سوق الكتب تحت شباك المدرسة الفاضلية بالكلاّسة قرب الجامع الأمويّ، وفي جواره سوق لبيع الكتب يقال له سوق الكتبيين في باب البريد بدمشق[٩٨].

وممّن عمل بسوق الكتب والورق محمد بن يوسف بن سليمان الكتبي، ويُعرف بالأمشاطي (ت٨٣٣هـ= ١٤٣٠م)، وقد عمل بحانوت لبيع الكتب دهرًا، وكان خبيرًا بها، وكانت له معرفة بالكتب[٩٩]، وموسى بن

(87) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: محمد بن طولون الصالحي، ج1، ص325. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج2، ص201.
(88) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص342.
(89) العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص256- 257.
(90) البداية والنهاية: ابن كثير، ج17، ص722.
(91) الوراقة: وهي صناعة للاستنساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران. مقدمة ابن خلدون، ص532. ونستطيع القول إن الوراقة هي نشر الكتب والتجارة بها، وهي بمنزلة دور النشر في العصر الحالي.
(92) لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات: عبد الستار الحلوجي، ص38.
(93) وثيقة برسباي: رقم 873، محفظة 27، دار الوثائق. وثيقة برسباي: رقم 880 أوقاف، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص161.
(94) خطط المقريزي، مج3، ص338- 339. الانتصار لواسطة عقد الأمصار: ابن دقماق، ج4، ص44- 61 -95.
(95) خطط المقريزي، مج3، ص338.
(96) وثيقة أزبك بن ططخ: رقم 198، محفظة 31، دار الوثائق، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص161.
(97) الضوء اللامع: السخاوي، ج2، ص207.
(98) العلوم العملية: كحّالة، ص280.
(99) الضوء اللامع: السخاوي، ج10، ص94.

سليمان بن عبد الكريم الشامي ثمّ القاهري الكتبي (ت٨٣٧هـ= ١٤٣٤م)، وقد تكسّب في الكتب وبرع في ذلك جداً[١٠٠]، ومحمد بن محمد بن أبي بكر المليجي ثمّ القاهري الحريري (ت٨٨٢هـ= ١٤٧٧م)، وقد كتب بخطّه أشياءَ، وعمل في حانوت بالورّاقين[١٠١]، وحسين بن حسن بن يوسف الهوريني ثمّ القاهري الكتبي (ت٨٥١هـ= ١٤٤٧م)، الذي «درس وأفاد وتكسّب بالكتبيين، وصار رأس الجماعة، وأحسن من رأيتُهم منهم، وانتفع به الطلبة في ذلك» كما ذكر عنه السخاوي[١٠٢]، وأحمد بن محمد الشهاب البالسي الأصل القاهري الماوردي، توفِّي بعد سنة (٨٩٠هـ= ١٤٨٥م)، نسخ بخطّه أشياء مع تكسّبه بالوراقين[١٠٣]، وحسينٍ بن علي بن سالم الفوي الأصل القاهري (ت٨٩١هـ= ١٤٨٦م) وقد تكسّب بسوق الكتب[١٠٤].

ثالثا _ نظام المكتبات في عصر المماليك:

لقد سارت المكتبات في عصر المماليك وفق أنظمة متقنة وتفصيلية، وتضمّن ذلك تفاصيل عديدة، وهذه أهمها:

١_ التزويد وسياسته ومصادره:

كانت عملية تزويد المكتبات تتم من خلال:

أ_ الشراء: وهو المصدر الرئيسي لعملية تزويد المكتبات، يقول ابن جماعة في كتاب «تذكرة السامع»، عند الحديث عن الأدب مع الكتب: إنّه على طالب العلم أن يقوم: «بشراء الكتب التي يرغب بها ما أمكنه»[١٠٥].

وقد اهتم جمّاعو الكتب ببيع الكتب عن طريق الدلّال إلى هواة الكتب، فمثلاً عند بيع كتب موفق الدين المطران (ت٥٨٧هـ= ١١٩١م) بعث القاضي الفاضل يستعرضها، فبعثوا إليه بملء خزانة صغيرة منها، فنظر فيها ثمّ ردّها[١٠٦].

ومن الذين عملوا في بيع الكتب محمد بن إبراهيم بن يحيى جمال الدين الكتبي، المعروف بالوطواط (ت٧١٨هـ= ١٣١٨م)، وكانت صناعته الوراقة وبيع الكتب[١٠٧]، وعبد اللطيف بن عبد العزيز الحراني الأصل الشافعي، المعروف بابن المرحل، وكان تاجراً في بيع الكتب[١٠٨].

وكان هناك من تخصّص في عملية الدلالة، أي عملية الترويج والدعاية للكتب، فلُقّبوا بدلّالي الكتب، وكان لهذه الفئة ضوابط، ويذكر السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» أنّه من حقّ دلّال الكتب: «ألّا يبيع كتب الدين لمن يعلم أنّه يُضيِّعها، أو يَنظرها لانتقادها والطعن عليها، وألّا يبيع من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجّمين، والكتب المكذوبة كسيرة عنترة وغيرها، ولا يحلّ له أن يبيع كافراً مُصحفاً، ولا شيئاً من كتب الحديث والفقه»[١٠٩]، ومن الذين عملوا في هذه الصنعة محمد بن عمر بن محمد دلّال الكتب[١١٠].

(100) الضوء اللامع: السخاوي، ج10، ص182.
(101) الضوء اللامع: السخاوي، ج9، ص70.
(102) الضوء اللامع: السخاوي، ج3، ص144.
(103) الضوء اللامع: السخاوي، ج2، ص216.
(104) الضوء اللامع: السخاوي، ج3، ص-149 150.
(105) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: ابن جماعة، ص116.
(106) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة، ص-651 655.
(107) الأعلام للزركلي: خير الدين الزركلي، ج5، ص297. الدرر الكامنة: ج3، ص-385 386.
(108) الدرر الكامنة: ابن حجر، ج3، ص-22 23.
(109) معيد النعم ومبيد النقم: السبكي، ص110.
(110) الضوء اللامع: السخاوي، ج11، ص231.

المكتبة الظاهرية في دمشق

ب ـ النسخ: كان النُسَّاخ يعملون بالنسخ داخل المكتبات، وذلك لتزويد المكتبة بما تحتاجه من الكتب، وبهذه العملية يقومون بإغناء المكتبة حتّى بالكتب النادرة، وزيادة نشاط الحياة في المكتبة علميًّا وعمليًّا.

وكان هناك طريقتان للنسخ: الأولى هي أن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرةً دون مساعدة أحد، وبعد الفراغ من النسخ يراجعها غيره للتأكّد من صحة ما نُسخ، والثانية تقوم بجلوس عدد من النسّاخ، ويملي عليهم شخص آخر، وبعد الفراغ من عملية النسخ تجري المقابلة على النسخ(١١١).

ومن الذين عملوا في النسخ وأشهرهم عمر بن حسن بن عمر بن حبيب (ت٧٢٦هـ= ١٣٢٥م) الدمشقي المحدّث محتسب حلب، وقد نسخ الكثير، وعمل لنفسه فهرسًا حافلاً(١١٢)، والشيخ نجم الدين موسى بن علي الحلبي ثمّ الدمشقي (ت٧١٦هـ= ١٣١٦م) الكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص، شيخ صناعة الكتابة في زمانه، لا سيما في المزوّج والمثلّث، وقد أقام يُكتِّب الناس خمسين سنة(١١٣).

ج ـ الوقف: كان الوقف من أهمّ وسائل تزويد المكتبات بالكتب، وعملية وقف الكتب أكثر من أن تُعدّ، وتكاد لا تكون هناك مكتبة في العصر المملوكي في الشام أو مصر إلّا وقد أُوقفت عليها الكتب، وسوف نذكر بعض الأمثلة عن هذا الوقف.

يذكر السبكي: «للناظر في دار الحديث الأشرفية أن يستنسخ للوقف، أو يشتري ما تدعو الحاجة

(111) انظر نقد الطالب: ابن طولون، ص178. معيد النعم ومبيد النقم: السبكي، ص103. المكتبات في الإسلام: محمد ماهر حمادة، ص-175 176. تاريخ المكتبات: النشار، ص202.

(112) أعيان العصر وأعوان النصر: الصفدي، ج3، ص-60 62. الدرر الكامنة: ابن حجر، ج3، ص234.

(113) البداية والنهاية: ابن كثير ج18، ص159. من ذيول العبر: الذهبي والحسيني، ص89.

إليه من الكتب والأجزاء، ثمّ يقف ذلك إسوةً بما في الدار من الكتب»[114]، ومن الذين أوقفوا كتبهم الشيخ أبو الفتح محمد بن أبي بكر الكوفي الأبيوردي (ت٦٦٧هـ= ١٢٦٧م)[115]، ويحيى بن عبد الوهاب الدمنهوري الشافعي (ت٧٢١هـ= ١٣٢١م)، وقد أوقف كتبه بالجامع الظاهري[116].

د ـ الإهداء: تُغنى مكتبات الهواة أحيانًا بطريقة غير مباشرة بالهدايا التي كانوا يتقبّلونها بقبول حسن[117]، وهي عملية فردية تطوّعية، يقوم فيها السلطان أو الأمير أو العلماء ...إلخ، بتقديم نسخة أو عدّة نسخ إلى خزانة المكتبة التي يريد تزويدها، وقد يكون بعض هذه الكتب ذا قيمة علمية وفنية كبيرة، كأن يكون بخطّ المؤلّف نفسه، أو يكون نادرًا، وقد عمّر السلطان الناصر في سنة (٧٢٥هـ= ١٣٢٥م) على الطريق الآخذ إلى الشام في حماة بالقرب من العش خانقاه، وأنزل جماعة من الصوفية بها، وقام صاحب حماة بإرسال هدية تليق بالخانقاه المذكورة، مثل كتب وبسط وغير ذلك[118].

٢ـ الإجراءات الفنية (التسجيل، السجلات، الجرد، الفهرسة، الفهارس، التنضيد، التصنيف):

لم يكن لهذه المكتبات أن تقوم بعملها على أكمل وجه، من قراءة ونسخ ومطالعة، لو لم تكن على درجة عالية من التنظيم والترتيب، ليسهل على روادها تناولها، ولا يتعبون في البحث عنها[119]، فكان التنظيم يبدأ بتعيين أمين المكتبة[120]، ثمّ تسجيل الكتب في سجلات خاصّة، وكان الهدف من هذا العمل هو إثبات ملكية المكتبة عليها، ومن أجل تسهيل عملية المراجعة والجرد، تذكر وثيقة الغوري: «ويُسلِّمه جميعَ ما فيها من الكتب، من تفسير وحديث وفقه ولغة ومعان وبيان وبديع وأصول فقه وغيرها، بغرض أن يجعل الناظر نسخة عنده»[121]، ومن خلال هذه الوثيقة نستنتج أنّ الخازن يقوم بتسلُّم الكتب وتسجيلها، مع الاحتفاظ بنسخة عنده ونسخة عند الناظر، من أجل الجردّ والمراجعة[122]، وكذلك في المدرسة الأشرفية يقول الطبّاخ: «وكانت أسماء الكتب مثبَّتة عند أقاربه في درج كبير، فذهب في محنة تيمور»[123].

وكذلك من الأمور المساعدة على الوصول للكتب بسهولة هي عملية الفهرسة، ومن الذين عملوا فهارس للمكتبات في العصر المملوكي ابن حجر العسقلاني[124].

٣ـ التجليد والترميم:

يُعَدُّ التجليد من أهمّ الإجراءات في الحفاظ على الكتب، ولقد قام المماليك بتطوير هذا الفن، وخاصّة في القرن التاسع الهجري = الخامس عشر الميلادي، وممّا يدلّ على ذلك آلاف الكتب التي

(114) طبقات الشافعية: السبكي: ج2، ص111
(115) عقد الجمان: العيني، ج2، ص55. العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج5، ص-286 287.
(116) الدرر الكامنة: ابن حجر، ج5، ص197.
(117) دور الكتب العربية: العش، ص304.
(118) تاريخ أبي الفداء: أبو الفداء، مج2، ج7، ص110.
(119) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: ابن الفوطي، ص-32 33.
(120) تاريخ المكتبات: النشار، 175. دور الكتب العربية: العش، ص342.
(121) وثيقة الغوري: رقم 883 أوقاف، انظر تاريخ المكتبات: النشار ص176.
(122) انظر دور الكتب العربية: العش، ص339.
(123) دور الكتب في حلب قديمًا وحديثًا: الطباخ، ج15، ص303.
(124) تاريخ المكتبات: النشار، الملحق الثالث، ص283.

هي بين أيدينا حاليًّا، وقلّما يكون هناك كتاب غير مجلّد[١٢٥]، وقد كانت هناك أسواق خاصّة للتجليد سمّيت بسوق المجلّدين، وقد اعتاد كبار المجلّدين أن ينقشوا أسماءهم على أغشية المخطوطات أو السنة التي جلّدوا فيها[١٢٦]، وعندما دخل السلطان العثماني سليم الأوّل دمشق أخذ محترفي التجليد إلى عاصمته إستانبول، فتعلّم الأتراك هذا الفن وأبدعوا فيه[١٢٧].

ومن الذين عملوا بهذه الصنعة عمر بن محمد بن إبراهيم الكتبي (ت ٨٤٤هـ= ١٤٤٠م)[١٢٨]، ومظفّر الكتبي الذي كانت له خبرةٌ تامّة بترميم المصاحف الرثّة[١٢٩].

وإضافة إلى التجليد كان هناك الترميم الذي يُعَدُّ من مهام أمين المكتبة، والوثائق تدلّ على ذلك، ومنها وثيقة أزبك بن ططخ إذ يقول: «على أن يتولى أجزاء الكتب المذكورة، ونفضها من الغبار، وتعهُّدها كالعادة، وصونها عمّا يفسدها»[١٣٠]، وقد ذكر السبكي الترميم عندما تحدث عن مهام خازن الكتب في دار الحديث الأشرفية: «وحقّ عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها، عند احتياجها للحبك»[١٣١].

٤_ مواعيد فتح المكتبات:

يتَّضح من دراسة المصادر الخاصّة بالعصر المملوكي، ولاسيّما الوثائق الخاصّة بالمكتبات ومؤسّساتها، أنّ مواعيد فتح المكتبات لم يكن موحّدًا، بل كان يختلف من مؤسّسة إلى أخرى، وذاك حسب شروط الواقف[١٣٢].

وعلى الأغلب أنّ مدة فتح المكتبات تكون من طلوع الشمس حتّى غروبها، كما في مكتبتي المدرسة الجمالية الأستدارية والمدرسة الناصرية[١٣٣]، وكذلك وثيقة القاضي يحيى التي أشارت إلى أنّ فتح المكتبة في كلّ يوم من بعد طلوع الشمس حتّى قبيل الغروب[١٣٤].

٥_ الخدمات المكتبيّة (الاطلاع الداخلي – الإعارة الخارجيّة):

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك من أساء في إعارة الكتب، مثلاً هناك كتابٌ موقوفٌ في المدرسة العمرية في دمشق مكتوب عليه: «هذا الكتاب عند الفقير عبده تعالى رمضان بن موسى الحنفي عارية من الكتب الموقوفة بمدرسة أبي عمر»[١٣٥]، وهذا يدلّ على أنّ الكتاب كان عنده، ولم يكن يرغب في إعادته إلى المكتبة.

وقد كان هناك شروط للإعارة لتنظيم هذه العملية، إذ لا يُسمح بالإعارة إلا لمن يُعرفون بالمحافظة على

(125) المخطوطات الدمشقية: إياد طباع، ص169-171. وثيقة جمال الدين الإستادار: رقم 106، محفظة 17. وثيقة رقم 880 أوقاف. وثيقة المؤيد شيخ: رقم 938 أوقاف. وثيقة جوهر لالا: رقم 1021 أوقاف. وثيقة فرج بن برقوق: رقم 66، محفظة 11. وثيقة الغوري: رقم 883 أوقاف، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص190.

(126) العلوم العملية: عمر رضا كحّالة، ص279.

(127) المخطوطات الدمشقية: طباع، ص164

(128) الضوء اللامع: السخاوي، ج6، ص115.

(129) العلوم العملية: عمر رضا كحّالة، ص278.

(130) وثيقة أزبك بن ططخ: رقم 198، محفظة 31، دار الوثائق، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص191.

(131) معيد النعم، السبكي، ص90.

(132) معجم الأدباء: ياقوت الحموي، ج3، ص-114 115.

(133) وثيقة جمال الدين يوسف الإستادار: رقم 106، محفظة 17، محكمة. وثيقة فرج بن برقوق: رقم 66، محفظة 11، محكمة، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص199.

(134) وثيقة القاضي يحيى زين الدين: رقم 110، محفظة 17، محكمة، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص199.

(135) دور الكتب العربية: العش، ص406.

الكتاب بذل المجهود في خزانة محمود
تصنيف شيخ الاسلام الحافظ
جلال الدين السيوطي
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد فقد وقف
محمود الاستدادار كتبا وجعل مقرها بمدرسته وشرط
ان لا تخرج من المدرسة وقد رايت شيخنا شيخ الاسلام
شرف الدين المناوي وشيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني
يستعيران منها ويخرجان منها الكتب الى منزلهما وتمكث عندهما
الايام الكثيرة وهما الامامان يقتدى بهما فانهما كانا من
الفقه بالمحل الاعلى بحيث بلغا رتبة الاجتهاد في المذهب
وكان المناوي صوفيا له احوال وكرامات فلولا رايا ذلك
جائزا ما فعلاه فان قيل ما وجه الجواز مع مخالفته لشرط
الواقف قلت له اربعة اوجه وجهان ضعيفان ووجه
حسن ووجه قوي صحيح الوجه الاول ان هذا الشرط
باطل جنح اليه بعضهم لكن رده السبكي وقال انه شرط صحيح
لان للواقف فيه غرضا صحيحا لان اخراجها مظنة ضياعها
الوجه

الوجه الثاني ان يحمل قول الواقف لا تخرج لا تخرج على نقلها
من مقرها بالمدرسة الى محل اخر يجعل مقرها فيه فيمتنع وان
راى الناظر ذلك لا الاخراج لمستعير ينتفع به ثم يعيده
وهذا التاويل وان كان بعيدا الا انه قد يقرب ان عبارة
الواقف وشرط ان لا تخرج ذلك ولا شيء منه من المدرسة
المذكورة فجعل نفي الاخراج منصبا اولا على مجموع الكتب فهذا
يقرب ان المراد بالاخراج نقل الكتب باسرها من هذا المقر
الى مقر اخر لا الاخراج لمستعير فانه لم تجر العادة في الخزائن
باعادة جميع ما فيها دفعة واحدة وبالجملة فهذا الوجه والذي
قبله ضعيفان الوجه الثالث ان بعض الائمة جوز
مخالفة شرط الواقف اذا اقتضت المصلحة ذلك ويعزى
هذا المذهب الامام احمد فان كان هو المشهور عندهم
فهو وجه حسن يصلح الاستناد اليه الوجه الرابع
وهو القوي ان من قواعد الشرع انه يجوز ان يستنبط
من النص معنى يخصصه وذلك معلوم فاذا كان هذا
في نص الشارع ففي نص الواقف اولى فيقال ان مقصود
الواقف تمام النفع وتمام الحفظ فاذا وجد من يحتاج
الى الانتفاع بها في تصنيف وذلك لا يمكنه على الوجه الاتم

مخطوط بذل المجهود في خزانة محمود للعالم الكبير جلال الدين السيوطي

الكتب المعارة[١٣٦].

ولقد قامت الوثائق المملوكية بتبيان الخدمة الخارجية، فإنّ الإعارة الخارجية لم تُترك بدون قيود، لتنظيم المكتبة وتحسينها من جهة، والمحافظة على الكتب من الضياع من جهة أخرى، وقد ذكرت الوثائق هذا الأمر[١٣٧].

وللحفاظ على كتب المكتبة من المماطلة في إرجاعها وُضعت الرهون، ويقول السبكي عند ذكره للخازن: «وكثيرًا ما يشترط الواقف ألّا يخرج الكتاب إلّا برهن يُحرِز قيمتَه، وهو شرط صحيح معتبر»[١٣٨]، ومن الكتب التي كانت موقوفة بالضيائية الكثير من الرسائل، ويظهر على إحداها أنّ الواقف اشترط ألا تُباع أو تُورَّث أو تُعار إلّا برهن يحفظ القيمة[١٣٩]، وهناك وقفية أخرى للحديث موقوفة في الضيائية تذكر أنّه «لا يُعار إلا برهن، فإن أُعير بغير رهن فكفارته ردُّه إلى مقره بعد قضاء الحاجة منه»[١٤٠].

وكانت هناك طريقة أخرى للإعارة وهي بكفالة شخص، حيث ذكر تاج الدين الحسيني في وقفياته

(136) المعيد في أدب المفيد والمستفيد: العلموي، ص130.
(137) انظر وثيقة فرج بن برقوق: رقم 66 محفظة 16 محكمة، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص204.
(138) معيد النعم: السبكي، ص90.
(139) مجموع 108 (3)، انظر دور الكتب العربية: العش، ص249.
(140) الظاهرية، حديث297، انظر دور الكتب العربية: العش، ص250.

«لا يخرج هذا المجلّد لا برهن ولا بكفيل»[١٤١].

وكان هناك أيضًا مكتبات منعت الإعارة الخارجية منعًا باتًا، لا برهن ولا بغيره، ومن هذه المكتبات مكتبة المدرسة الصرغتمشية، فقد وُجد على بعض الكتب التي قام بوقفها صرغتمش «لينتفعون بذلك في الاشتغال والكتابة منه ليلاً ونهارًا، حيث لا يُخرَج من المدرسة المذكورة، ولا يُباع ولا يُرهَن ولا يُوهب ولا يُبدَّل ولا يُغيَّر»[١٤٢].

٦_ الأثاث والأدوات الخاصّة بحفظ الكتب:

لقد اهتمّ المماليك بأثاث المكتبات والأدوات الخاصّة بحفظ الكتب وصيانتها، لتسهيل استخدامها وتداولها، وذلك حرصًا على راحة روّاد المكتبة.

وبما أنّ المكتبة هي مكان للمطالعة والنسخ فيجب أن تكون مريحة، وتُفرَش أرضيتُها بالبسط أو الحصر، وكان بها خدّام وفرّاشون، وكانوا يعلّقون على جميع أبوابها وممرّاتها الستور، وكان بها ما يحتاجه النسّاخ من الحبر، والأقلام، والورق، والمحابر، وقد يكون هناك فرش خاصّة للشتاء وفرش خاصّة للصيف[١٤٣].

وكان الفرّاشون يقومون بتعليق الستائر أو السحابة من القماش السميك على دور قاعة المؤسّسة في الصيف، لتخفيف شدّة الحرارة والغبار، ويرفعونها في الشتاء لكي تصل أشعّة الشمس إلى المؤسّسة للتدفئة[١٤٤].

واستخدمت المكتبات المملوكية الصناديق، وكانت صناديق الكتب من الخشب أو الخشب المصفَّح بالنحاس المكفّت بالذهب والفضّة، وكانت بعض هذه الصناديق الخاصّة بالمصاحف والربعات الشريفة تُقسَّم من الداخل لوضع أجزاء الربعات فيها[١٤٥].

وقد استخدمت أيضًا في بعض المكتبات رفوف خشبية حائطية، لكي تُوضع الكتب فيها، ويقول ابن جماعة: «وإذا وضعها في مكان مصفوف فلتكن على كرسي أو تحت خشب أو نحوه، والأولى أن يكون بينه وبين الأرض خلوة، ولا يضعها على الأرض كيلا تتندّى أو تبلى»[١٤٦]، وكذلك كانت مكتبة صلاح

(141) الظاهرية، الحديث 148، الفقه الشافعي 2، انظر دور الكتب العربية: العش، ص404.
(142) ربعة صرغتمش، رقم 150 مصاحف، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص207. تاريخ المكتبات: النشار، الملحق الأول، لوحة رقم 1، ص263.
(143) خطط المقريزي: المقريزي، مج2، ص502.
(144) وثيقة الغوري: رقم 883 أوقاف، انظر تاريخ المكتبات: النشار، ص124.
(145) تاريخ المكتبات: النشار، ص124. خطط المقريزي: المقريزي، مج3، ص339.
(146) تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة، ص117.

الدين الأيّوبي في دمشق مرتّبة في خزائن ذات رفوف، كما كان في جامع حلب رفوف[١٤٧].

ومن أجل النسّاخ والخطّاطين الذين يقومون بعملهم في المكتبة فقد حوت هذه المكتبات على الحبر والأقلام والورق والمساطر والبراكر[١٤٨] والدُّوى[١٤٩]، وهي لعملية النسخ[١٥٠]، ويذكر السبكي: «يُصرف في شراء ورق آلات النسخ من مركب وأقلام ودوى وكراسي ونحو ذلك ما يقع به الكفاية لمن ينسخ في الإيوان الكبير أو قبالته»[١٥١]، ولابدّ من وجود أدوات لعملية التجليد والحبك والترميم والصيانة، بغية المحافظة على سلامة الكتب، التي كانت من واجبات خازن الكتب، إذ يقول السبكي عند حديثه عن مهام الخازن: «وحقّ عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك»[١٥٢].

وكذلك كان يوجد هناك الثبت أو ما يسمى بالسجل، لتسجيل ما في المكتبة من الكتب، وهو يستخدم في عملية الجرد أيضًا[١٥٣].

وقد تستخدم المكتبات أدوات للإضاءة وخاصّةً في المكتبات الّتي تُفتَح بالليل، مثل المدرسة الصرغتمشية، التي كانت تفتح أبوابها ليلاً ونهارًا، أي بشكل دائم حيث إنّ هناك مخطوطات كان من ضمن محتوياتها «لينتفعون بذلك للاشتغال والكتابة ليلاً ونهارًا»[١٥٤].

_ الخاتمة:

بيّن هذا البحث دور المكتبات في تحقيق الازدهار العلمي في عصر المماليك، وهو دور جوهري وفعّال لتوفير ما يحتاجه طلاب العلم من مادة علمية.

وظهر دور سلاطين وأمراء المماليك والعلماء في تنشيط الحركة العلمية، والعمل بشكل كبير على دعمها.

وتوضّح أنّ المكتبات في ذلك العصر لم تكن تسير عشوائيًّا، وإنّما وفق نظام دقيق محدّد، فمن خلال عملية تزويد المكتبة، والإجراءات الفنية، وإيرادات المكتبة، تظهر دقة العمل الذي كانت تقوم عليه هذه المكتبات.

كما برز فعالية نظام الأوقاف وأثره المهم جدًّا في النهضة العلمية، وأنّه المموّل الرئيسي للمكتبات والمؤسّسات العلمية الأخرى.

وممكن أن نخلص من خلال هذا البحث إلى أن عصر المماليك كان عصر ازدهار ونهضة علمية، يدلُّ على ذلك النشاط الواسع والفعّال للمكتبات، إضافة إلى العوامل الأخرى التي تتعلق بانتشار المؤسّسات العلمية بكافة أنواعها، وهذا يُصحِّح التزوير التاريخي الذي انصبَّ على عصر المماليك، حيث حاول بعض الكُتّاب إظهار ذلك العصر على أنّه عصر انحطاط وتأخّر.

(147) دور الكتب العربية: العش، ص359.
(148) البراكر: جمع بركار، وهي آلة ذات ساقين تُرسم بها الدوائر، وتُعرف بالبيكار. تاريخ المكتبات: النشار، ص126.
(149) الدوى: جمع دواة، ويقال لها المحبرة، وهي الآنية التي يُجعل بها الحبر من خزف أو قوارير. لسان العرب: ابن منظور، مج14، ص279.
(150) دور الكتب العربية: العش، ص299.
(151) فتاوى السبكي: ج2، ص110
(152) معيد النعم ومبيد النقم: السبكي، ص90.
(153) دور الكتب العربية: العش، ص-339 343. تاريخ المكتبات: النشار، ص127.
(154) تاريخ المكتبات: النشار: ص199.

مصادر البحث ومراجعه

ـ المصادر:

ـ أعيان العصر وأعوان النصر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ= ١٣٦٣م)، تحقيق: علي أبو زيد- نبيل أبو عمشة- محمد موعد- محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١(١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).

ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الشهير بابن دقماق، المكتبة التجارية، بيروت.

ـ البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، ط٢(١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ= ١٣٧٤م)، تحقيق: بشار معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

ـ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة (٦٦٩- ٧٣٣هـ) = (١٢٧٠-١٣٣٢م)، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط١، (١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م).

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي: دار الفكر الحديث، بيروت.

ـ خطط المقريزي: المقريزي، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

ـ الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١(١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).

ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ= ١٤٤٨م)، تحقيق: محمد سيد جار الحق، مطبعة المدني.

ـ الذيل على الروضتين: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ= ١٢٦٧م)، تحقيق: عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط٢(١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م).

ـ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (٥٩٩هـ- ٦٦٥هـ) = (١٢٠٢- ١٢٦٧م)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسّسة الرسالة، بيروت (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م).

ـ الضوء اللامع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢(١٤١٣هـ= ١٩٩٢م).

ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين محمود العيني (ت٨٥٥هـ= ١٤٥١م)، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ= ١٢٦٩م)، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
ـ العبر في خبر من غبر: الحافظ محمد أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ= ١٣٤٧م)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت (١٣٨٦هـ= ١٩٦٦م).
ـ فتاوى السبكي: علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣- ٧٥٦هـ) = (١٢٨٤- ١٣٥٥م)، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الجيل، بيروت، ط١(١٤١٢هـ= ١٩٩٢م).
ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: محمد بن طولون الصالحي (ت٩٥٣هـ= ١٥٤٦م)، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق.
ـ لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٦(١٤١٧هـ= ١٩٩٧م).
ـ المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء: أبو الفداء إسماعيل بن علي (٦٧٢- ٧٣٢هـ) = (١٢٧٣- ١٣٣٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ المعيد في أدب المفيد والمستفيد: عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي (ت٩٨١هـ= ١٥٧٣م)، المكتبة العربية، دمشق، ط١.
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني الكندي (ت٧٦٨هـ= ١٣٦٦م)، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٧هـ= ١٩٩٧م).
ـ معجم الأدباء: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: عمر فاروق الطبّاع، مؤسّسة المعارف، بيروت، ط١(١٤٢٠= ١٩٩٩م).
ـ معيد النعم ومبيد النقم: تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ= ١٣٦٩م)، تحقيق: محمد علي النجار- وأبو زيد شلبي، دار الكتاب العربي، مصر، ط١(١٣٦٧هـ= ١٩٤٨م).
ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨هـ) = (١٣٣٢- ١٤٠٦م)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢(١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).
ـ من ذيول العبر: الذهبي ولمحمد بن علي الحسيني، تحقيق: محمد رشاد عبد المطلب، الناشر: مطبعة حكومة الكويت.
ـ نقد الطالب لزغل المناصب: شمس الدين محمد بن طولون (٨٨٠- ٩٥٣هـ) = (١٤٧٥- ١٥٤٦م)، تحقيق: محمد أحمد دهمان- خالد محمد دهمان، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت.

ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).
ـ وثيقة الغوري، وثيقة جمال الدين الإستادار، وثيقة المؤيد شيخ، وثيقة جوهر لالا، وثيقة فرج بن برقوق، وثيقة القاضي يحيى زين الدين، أوقاف. ربعة صرغتمش، رقم ١٥٠ مصاحف، دار الكتب المصرية.
ـ وثيقة برسباي + وثيقة أزبك بن ططخ، دار الوثائق.
ـ وفيات الأعيان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، عدة طبعات.

ـ المراجع:

ـ الأعلام للزركلي: خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٠ (١٤١٢هـ= ١٩٩٢).
ـ تاريخ المكتبات: السيّد النشار، الدار المصرية اللبنانية، ط١(١٤١٣هـ= ١٩٩٣م).
ـ خزائن الكتب في دمشق وضواحيها: حبيب الزيات، مطبعة المعارف، مصر.
ـ خطط الشام: محمد كرد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢(١٣٩١هـ= ١٩٧١م).
ـ دور الكتب العربية العامّة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط: يوسف العش، ترجمة عن الفرنسية، نزار أباظة ومحمد صباغ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١(١٤١١هـ= ١٩٩١م).
ـ دور الكتب في حلب قديمًا وحديثًا: محمد راغب الطباخ، مجلّة المجمع العلمي العربي، دمشق (١٣٤٥هـ= ١٩٢٧م).
ـ العلوم العملية في العصور الإسلامية: عمر رضا كحالة، المطبعة التعاونية، دمشق (١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م).
ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته: يوسف العش، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق (١٣٦٦هـ= ١٩٤٧م).
ـ لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات: عبد الستار الحلوجي، دار الثقافة، ط٣(١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م).
ـ المخطوطات الدمشقية: إياد خالد طباع، الهيئة العامة السورية للكتاب، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).
ـ المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها: محمد ماهر حمادة، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٣(١٤٠١هـ= ١٩٨١م).
ـ منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: عبد القادر بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٢(١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م).